

خطبة

الأمان في حفظ اللسان

لفضيلة الشيخ

عبد الكريم بن قاسم الدولة

حفظه الله تعالى

٤ جمادى الآخرة ١٤٣٨

## الخطبة الأولى

إن الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضل فلا هادي له وأشهد إن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٦﴾﴾.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾.

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار

أيها المؤمنون عباد الله يقول الله عز وجل: ﴿إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾، وقال عز من قائل سبحانه وتعالى ﴿أُمَّ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ ۗ بَلَىٰ وَرُسُلْنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾، ويقول الله عز وجل ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لِحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾.

فهذه الآيات تُرشدنا عباد الله إلى لزوم عبادة هي من أجل العبادات، بل هي من مكملات الإيمان وتمامه، واستقامته، ألا وهي عبادة الصمت وعدم الكلام إلا في الخير.

فهذا إرشادٌ من الله سبحانه وتعالى وتحذيرٌ لعباده المؤمنين، بأن ما يخرج من الشفتين محسوب ومكتوب ومرصود عند الله سبحانه وتعالى أولاً، ثم عند ملائكته، ثم عند شهود الله عز وجل، وما أكثرهم فقد جعلهم الله سبحانه وتعالى شهداء على خلقه.

فالأرض من شهود الله عز وجل، والأعضاء والجوارح من شهود الله سبحانه وتعالى، والناس شهداء على بعضهم البعض، والأنبياء من أعظم الشهود على الناس، والملائكة الكتبة الكرام الحافظين، والله عز وجل على كل شيء شهيد ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّنُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ﴾.

قال الإمام البخاري في صحيحه: باب حفظ اللسان وقول النبي صلى الله عليه وسلم: (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت) وقول الله عز وجل: ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾.

قال ابن بطال: من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت، أي أن من تمام إيمان العبد بالله واليوم الآخر أنه يحاسب نفسه وألا يقول ما يكون عليه ندامة يوم القيامة، فإن الندامة الكبرى هي ندامة العباد يوم القيامة على ما يجدونه في صحائفهم وعلى ما تنطق به جوارحهم وعلى ما يجدونه أمامهم من الأقوال والأعمال والأفعال.

يا عبد الله إذا كان الله عز وجل يقول: ﴿وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ﴾ ويقول الله سبحانه وتعالى: ﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ﴾ فما بالك بأقوال خرجت وأفعال ظهرت وأعمال كتبت وأفعال أحصيت عليك ﴿وَنَكُتُبُ مَا قَدَّمُوا﴾ الله عز وجل يكتب كل شيء، فلا يجد الإنسان صغيرة ولا كبيرة إلا وجدها أمام عينيه، كما قال الله عز وجل: ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ

مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظِلُّمُ رَبُّكَ أَحَدًا.

في جامع الترمذي من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال (كل يوم يصبح فيه العبد فإن الأعضاء كلها تُكْفِّرُ اللِّسَانَ) أي تعظمه (وَتَقُولُ اتَّقِ اللَّهَ فِينَا فإِنَّمَا نَحْنُ بِكَ إِنِ اسْتَقَمْتَ اسْتَقَمْنَا وَإِنِ اعْوَجَجْتَ اعْوَجَجْنَا) جاء في مسند الإمام أحمد من حديث أنس رضي الله تعالى عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال (لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه) الله أكبر يا عباد الله أنها الاستقامة، استقامة هذا اللسان وانضباط هذا اللسان يكون بأمرين اثنين، بالسكوت ولزوم الصمت أو بقول الخير، فإنه لا بد أن تحقق هاتين الخصلتين في اللسان إذا نطقت فإنما يكون منطقتك بالخير وإلا فأسكت وأصمت، ولذلك يقول أهل العلم هناك فرق بين السكوت والصمت، قالوا السكوت يكون بعد الكلام والصمت ابتداء، فإن المتكلم يسكت بعد كلامه لكن الصمت يكون ابتداءً هو ألا يتكلم.

وقالوا الصمت هو أمر نسبي، أي إلى طول عدم الكلام وكثرة الكلام من صاحبه والسكوت يكون قبله كلام وبعده كلام.

هذا من الفوارق عند أهل العلم بين الصمت والسكوت، وعلى كلٍ فأنت مطالب بريضة هذا اللسان، وحبس هذه الشهوة، وكتمها حتى لا تجازف بكلامك، وحتى تزن كلامك، لأنك إذا لم تزن كلامك فإن هناك من يزن عليك كلماتك ويزن عليك عباراتك بل ويرصدها فلا يترك منها شيئاً ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾.

إلا وأن استقامة الكلام يدل على استقامة القلب، واستقامة القلب ناتجة عن استقامة الإيمان، فإذا وجد الانحراف في الكلام، وإذا وجد التخبط في الكلام، فإن هذا دلالة على تخبط القلب وانحرافه، مما يدل على ضعف الإيمان في قلب صاحبه، فنحن بحاجة إلى تعلم الصمت وطول السكوت أكثر منا حاجة إلى تعلم الكلام والمخاطبة.

ولقد كان السلف الصالح رحمهم الله تعالى يتعلمون الصمت والسكوت كما يتعلم أحدنا الكلام.

دخل أبو حفص الشهيد الفاروق أمير المؤمنين عمر بن الخطاب صهر رسول الله صلى الله عليه وسلم وثاني وزرائه وخلفائه رضي الله تعالى عنه، على الصديق الأكبر صهر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأحب الناس إلى النبي صلى الله عليه وسلم أبي بكر فوجده آخذاً بلسانه فقال ما هذا يا خليفة رسول الله؟ قال هذا الذي أوردني الموارد.

ودخل أحدهم على عبد الله بن عباس رضي الله عنهما فوجده آخذاً بلسان نفسه ويقول يا لسان قل خيراً تغنم أو أسكت عن شر تسلم وإلا فإنك ستندم.

نعم يا عباد الله فندامة الكلام ندامة عظيمة وأليمة، ولذلك يقول النبي صلى الله عليه وسلم: **(إياك وما يُعتذر منه)**، إياك أن تقول كلاماً تحتاج بعده إلى اعتذار، كم كلمة فتكت في القلب أكثر من فتك السهم والرمح، كم من كلمة أنكأت جرحاً، وأسالت دماً، وهتكت عرضاً، ومزقت شمللاً، وأغرقت عداوة، وأشعلت حرباً، وفرقت الناس، نسأل الله السلامة والعافية.

لذلك جاء في البخاري من حديث سهل بن سعد بن الساعدي رضي الله تعالى عنه أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: **(من يضمن لي ما بين لحييه وما بين فخذه أضمن له الجنة)**، أنها ضمانة من رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، لأن ضمانة اللسان ضمانة صعبة لا يستطيعها إلا من وفقه الله سبحانه وتعالى.

فجاهد نفسك على رياضة السكوت، وعلى عبادة الصمت، حتى لا تؤاخذ بقولك قبل أن يتبع القول الفعل، وكم من فعل سبقه، قول وكم من قول سبقه حديث نفس، وخطرة بال، فإذا لم تحسن أسر كلامك فما أسرع الكلام إلى أسرك.

أقول ما سمعتم وأستغفر الله لي ولكم.

### الخطبة الثانية

الحمد لله وكفى، والصلاة والسلام على عبده المصطفى صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم. أيها الناس، إن رياضة السكوت، وعبادة الصمت، لهي قوية ثقيلة لأن النفس تشتهي الحديث، وتتلذذ بالكلام، لأن الناس الآن أصبحوا يتسابقون على الاستعراض بكلماتهم والتشدد بفصاحتهم، وما علموا أن كل ذلك مرصود، مكتوب، محسوبٌ عليهم، ألا فأقل الكلام إلا بالخير.

ذكروا أن عمار بن ياسر رضي الله تعالى عنه كان طويل الصمتِ ومن صفات النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان كثير الصمتِ، كثير الذكر، يا سبحان الله، كثير الصمتِ فيما لا يعنيه كثير الذكر فيما يقربه إلى الله سبحانه وتعالى.

قال الفضيل بن عياض: كان أصحابنا يحصون كلامهم من الجمعة إلى الجمعة.

انظر! كان كلامهم معدود حتى لو أستطاع أحدهم أن يعد كلامه لعهده، في الأسبوع يستطيع أن يعد كلامه، أما نحن فحدث عن حالنا ولا حرج نسأل الله أن يعفو عنا وان يتجاوز عن تقصيرنا.

يحصون كلامهم من الجمعة إلى الجمعة كان الربيع بن خثيم رحمه الله تعالى إذا أصبح أخذ القرطاس والقلم فأخذ كل ما تكلم بكلمة رصدها وكتبها حتى إذا أمسى راجع كلماته التي خرجت، عباراته التي رصدها على نفسه، ثم حاسب نفسه عليها.

لذلك كانوا يعدون السكوت ولزوم الصموت من التجارة الراجحة، كما ذكر ذلك الشافعي رحمه الله تعالى وغيره.

إذا فنحن بحاجة اليوم إلى أن تكثر فينا الأعمال، والأقوال الصالحة، قال ابن مسعود رضي الله تعالى عنه إنكم اليوم في زمان كثير علماء قليل خطبائهم وسيأتي عليكم زمان كثير خطبائهم قليل علماء، فمن قل قوله وكثر عمله فهو المحمود، ومن كثر قوله وقل عمله فهو المذموم

قال علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه: (إن من كمال العقل قلة الكلام).

وزن الكلام إذا نطقت ولا تكن ثرثارة في كل نادٍ تخطبُ

فلنجاهد أنفسنا على السكوت إلا من خير، على الصمت إلا من خير،

كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في حديث أبي هريرة: (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت) وفي رواية: (فليقل خيراً أو ليسكت) وجاء أيضاً عن النبي صلى الله

عليه وسلم: **(قولوا خيراً تغنموا واسكتوا عن شرِّ تسلموا)** وجاء في المسند من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **(من صمت نجاً)**، ما أقله من كلام وما أعظمه من معنى ومن مبنى

من صمت نجاً أي عن الشر وعن الباطل وعن مالا يعنيه: (من حسن إسلام المرء تركه مالا يعنيه) قولاً أو فعلاً أو أي شيء **(من صمت نجاً)** نجاً في الدنيا، ونجاً في الآخرة.

ذكر الميداني في مجمع الأمثال أن رجلاً كان نديماً لأحد ملوك حمير فخرجوا في صيد ذات مرة فوقفوا على صخرة صماء ملفتة للنظر، فقال هذا المجلس لذلك الملك يا أيها الملك لو ذبح رجل على هذه الصخرة ترى إلى أين يسيل دمه؟ فقال الملك لجنوده أذبحوه حتى نرى إلى أين يسيل دمه.

انظر! فتك بنفسه، كم من حروف جرت على أصحابها حتوف، ماذا يغنيه ماذا ينفعه هذا الكلام، ما الفائدة من هذا الكلام؟ لا شيء.

هذا لتعلم أن هناك من ندم على كلامه كثيراً ولم نجد أحداً ندم على سكوتِهِ.

قال ابن حزم رحمه الله تعالى: ما أجمل الصمت في القضايا الحساسة، التي ليس لك فيها ناقة ولا جمل، وليس لك فيها رأي، ولا أول، ولا آخر، ما أجمل وما أحسن وما أنفع أن تسكت وأن تصمت وأن تحبس لسانك عنها.

بل يا عباد الله أن من أسباب دخول النار ما قاله الله عز وجل: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ الْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ ﴿٤٢﴾ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمِ الْمَسْكِينِ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَحْوُ مَعَ الْخَائِضِينَ ﴿٤٥﴾﴾.



نعوذ بالله أن نكون ممن يخوض مع الخائضين.

اللَّهُمَّ انا نسألك بأسمائك الحسنى وصفاتك العلى ان تجعلنا من عبادك الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه اللَّهُمَّ اهدنا لأحسن الأخلاق والأعمال والأقوال لا يهدي لأحسنها إلا أنت واصرف عنا سيء الأخلاق والأقوال والأعمال لا يصرف سيئها إلا أنت اللَّهُمَّ جنبنا منكرات الأخلاق والأقوال والأعمال والأهواء والأدواء يا ذا الجلال والإكرام اللَّهُمَّ إنا نسألك يا ذا الجلال والإكرام والعزة التي لا ترام نسألك نصراً مؤزراً للإسلام وأهله في كل مكان، وذلاً تُذل به الكفر وأهله في كل مكان الذين يحاربون دينك وكتابك وسنة نبيك وأوليائك وعبادك الصالحين.

اللَّهُمَّ إنا نعوذ بك من زوال نعمتك وتحول عافيتك وفجأة نقمتهك وجميع سخطك يا ذا الجلال والإكرام.

اللَّهُمَّ إنا نعوذ بك من جهد البلاء ودرك الشقاء وسوء القضاء وشماتة الأعداء، اللَّهُمَّ أحفظ علينا يميننا وإيماننا وإسلامنا وسلامتنا وهدؤنا واستقرارنا اللَّهُمَّ أحفظنا في برنا وفي بحرنا وفي جونا وفي قرانا وفي مدننا وفي سهلنا وفي جبلنا وفي بدونا وفي حضرنا وفي مساجدنا وفي بيوتنا وفي اسواقنا وفي طرقاتنا، أحفظنا بحفظك نستودعك ما نحب ومن نحب فأنها لا تضيع ودائعك وانت خيراً حافظاً وانت أرحم الراحمين اللَّهُمَّ أغفر لنا ولوالدينا وللمسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والأموات ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار وصل الله وسلم على محمد وعلى آله وصحبه وسلم.